تاريخ الاستلام: 2020/06/21 تاريخ القبول: 2020/08/26

أهمية كتب الرحلات كمصدر في تدوين التاريخ: رحلة ابن بطوطة نموذجا

The importance of travel books as a source in writing history: Ibn Battuta trip as a model

أ.د محمد الصافي*
essafi_10@hotmail.com
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة كلميم واد نون (المملكة المغربية)

ملخص:
تكمن أهمية الرحلات في كونها تمثل مظهراً من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، فتحت الآفاق المعرفية واستقصت العادات البشرية، واحتضنت القوافل التجارية، ودونت فنون المجالس العلمية، واقتحمت الحدود السياسية، ورسمت حدود الخرائط الجغرافية لمختلف الأقطار الإسلامية، فكتب الرحلات عقد نفيس في التاريخ، وهي مجال واسع رحب عميق، وسيظل أرضاً بكراً للأبحاث والتحقيق.
وعليه فإن الرحلات تقدّم في مجال التاريخ بعض المعلومات التي لم يقدمها لنا العلم المختص في هذا المجال، فإذا كان التاريخ يعمل على وصف واستقصاء حياة البلدان وتاريخها بمختلف مظاهرها، فإن الرحلات أعطت كل ذلك بعده المناسب، وتطرقت إلى تحليل جوانب لم تتطرق إلى تحليلها الوثائق التاريخية.
كلمات مفتاحية: أدب الرحلة، ابن بطوطة، التواصل، الرحلات التاريخية.

Abstract:
The importance of trips lies in the fact that they represent a manifestation of Arab-Islamic civilization, opened knowledge horizons and investigated human habits, embraced commercial convoys, codified the arts of scientific councils, stormed political borders, and drew the boundaries of geographical maps of various Islamic countries, so books of journeys are a precious decade in history, and it is a field It is broad and deep, and will remain a virgin land for research and investigation.
Accordingly, the trips in the field of history provide some information that the specialized science did not provide us with in this field, so if history works to describe and investigate the life and history of countries in its various manifestations, then the trips gave all of that after the appropriate, and touched on the analysis of aspects that did not deal with analyzing historical documents.
Keywords: The literature of the journey, Ibn Battuta, Communication, historical

*المؤلف المرسل.

. مقدمة:

تعد الرحلة أحد أهم طرق التواصل والتعارف بين مختلف الشعوب والثقافات والأجناس على مر العصور عرفها الإنسان منذ القدم، فهي قديمة قدم البشرية ظهرت بظهور سيدنا أدم عليه السلام، وقد اعتبر أدب الرحلات من أخصب الحقول التي نبغ فيها العرب قديما، فهو من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية حافل بالأبعاد الإثنوغرافية، كونه ينقل لنا معلومات وحقائق من المشاهد الحية، وذلك بوصفه طبائع الأمصار وعاداتهم وتقاليدهم، ناقلا نمط وأسلوب عيشهم من خلال تسجيل الرحالة لكل ما وقعت عليه عينه، فتلك التجارب عرفته وعرفتنا على ثقافة عصره وطريقة تفكيره، كما كشفت لنا جوانب مختلفة من مظاهر حياته بمختلف أنواعها.

وقد تنوعت الرحلة بتنوع الأهداف والحاجات والمقاصد، وتعددت بتعدد الأسباب، ومن أهم الدوافع التي جعلتهم يقدمون على الخروج تلك الرغبة الجامحة في زيارة البقاع المقدسة، فالعامل الديني أدى دورا كبيرا في تشجيع هذا النمط من الكتابة الجغرافية، فتهيأت لهم بذلك فرصة زيارة بلدان عديدة من ديار الإسلام. ولا ريب أن الرحلات كانت بمثابة مصادر شاملة سُجلت فيها جوانب متعددة فيما يخص الجوانب الحضارية على امتداد أزمنة متتالية، فالرحلة تتطلب اتساع المعارف وتنوعها، لأنها تستخدم الجغرافيا وتستند إلى التاريخ عند التعرض لوصف المسالك والمدن والمعالم وبدايات الأمور، بل ورصد الظواهر الاجتماعية غير المألوفة لديهم، وكذلك الاقتصادية، ويتبعها السياسية بنسب متفاوتة.

وتأتي قيمة الرحلات التاريخية من أنها أساسا قامت على التجربة والملاحظة المباشرة، فهذا الأمر كان واضحا جليا في جميع الرحلات، فالرحالة قد اعتنوا بالمسالك وقياس مسافات الطرق، وهم بذلك جغرافيون من حيث لم يعلموا، فقد أودعوا في مدونات رحلاتهم شيئا كثيرا عن أخبار رحلاتهم، فلم يفُتهم وصف الطرق التي سلكوها وتسجيل المسافات التي قطعوها، والمعالم التي شاهدوها، بالإضافة إلى الصعوبات التي واجهوها، والمحطات التي نزلوها، كما بادروا بالتحذير في مناطق الأخطار ونصحوا بسلوك طريق الأمان، فيتجلى من كل ذلك خلاصة التجربة التي مروا بها ومن ثم قاموا بتقديمها.

هذا وتعد رحلة ابن بطوطة من أهم المصادر التاريخية والجغرافية بالنسبة إلى حياة الأمم الشرقية في القرون الوسطى، يجد فيها الباحث معرضا كبيرا لأحوالها من الوجهتين السياسية والاجتماعية، ويقف على كثير من أسرارها لأول مرة في التاريخ. فعلى الرغم من مرور ردح من الزمن إلا أننا لا زلنا ننعم بتلك الصور التي نقلها لنا عن عادات تلك الشعوب وتقاليدها، وحياتهم بمختلف مجالاتها في ذلك العصر، فمثل هذه الرحلات كان ولا زال الأدباء والجغرافيون والمؤرخون يستقون منها مادتهم لما تحمله من روعة في التعبير والتصوير ومن أحداث غريبة وعجيبة ومعلومات وأحداث لم يعهدوها ولم يصادفوها من قبل.

إن كتب الرحلات تعد من أهم الكتب التي تشير بجلاء للجانب العلمي، فقد كشف الرحالة عن أهم المنابع التي استقوا منها علومهم، وسجلوا النشاط العلمي للعلماء الذين أخذوا عنهم والمراكز الثقافية والمدارس التي تلقوا فيها علمهم. وهكذا تأتي القيمة العلمية التاريخية للرحلات، فهي مصادر دونت بشهود عيان، عاصروا الحدث وقاموا بتسجيله في حينه، فدراسة الناحية التاريخية للرحلات مفيدة في تعرف الجوانب العلمية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية بل حتى السياسية، فهذه الجوانب كلها كتبت بحسب ما شاهده الرحالة ولمسه، ولا شك أن هذه أمور لا توجد في كتب التاريخ العامة أو الخاصة التي انصب اهتمام مؤلفيها على الأحداث السياسية.

تسعى هذه الدراسة إلى محاولة الوقوف عند أهمية كتب الرحلات في تدوين التاريخ انطلاقا من رحلة ابن بطوطة كنموذج، باعتبارها من بين أهم المصادر حول بداية التاريخ التركي، حيث تمت في القرن 14م وهو بداية تشكل الإمبراطورية العثمانية، وأيضا بإبراز القيمة العلمية التاريخية لهذه الرحلة، وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما الدور الذي أدته الرحلة وما أهدافها؟
- ما مدى أهمية كتب الرحلات في تدوين التاريخ؟

- أين تتجلى القيمة العلمية التاريخية في رحلة ابن بطوطة؟ وما هي القيم التي تحملها في طياتها؟

. أولا: مدخل تمهيدي: في مفهوم الرحلة

لقد اجتهد الدارسون في تعريف الرحلة وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، كل نظر إليها من زاوية محددة من خلال منظور حقله الدراسي، فالمؤرخ ركز على كل ما له صلة بالجانب التاريخي فيها، والجغرافي لم ير فيها الا ما له علاقة بعلم الجغرافيا، بينما نظر اليها دارسوا الأدب ونقاده نظرة فنية، فركزوا على ما يتجلى فيها من جوانب فنية وأدبية، من خلال ما تحمله من نصوص شعرية ونثرية، وما تقدمه من أخبار، يرون أنها قابلة لأن تصنف ضمن دائرة الأدب، فاختلفت بذلك وجهات نظرهم فيها، وتعددت تعريفاتهم لها، إلا أن بنيتها الأساسية بقيت القاسم المشترك بينهم، ونعني بذلك بنية السفر.

1 . التعريف اللغوي للرحلة:

إذا بحثنا في التراث المعجمي القديم ووقفنا على لفظة" الرحلة "نجدها تشتمل على المعاني التالية: يرى ابن منظور (ت 711هـ) أن أصل الكلمة من رحل من مشتقاتها: "الرحلُ: مركب للبعير، ورجل مُرحل أي له رواحل كثيرة"[1].

ويضيف الفيروز أبادي في معجمه: "ارتحله: حط عليه الرحل فهو مرحول ورحيل وإنه لحسن الرحلة بالكسر، فالرحل للإبل والرُحال العالم به المجيد"[2].

وإذا عدنا إلى المعجم الصافي في اللغة العربية فلا نجد اختلافا يذكر كونها تصب في معنى واحد وهو الحركة، ومما ورد فيه بالإضافة إلى ما سبق ذكره: "الرُحلة: السفرة الواحدة والمرتحل: اسم الموضع الذي يحل فيه"[3].

وارتحل إلى الله مات[4]، فهذه اللفظة تؤدي معنى آخر مرتبط بالعقيدة وهو مصير حتمي لكل الكائنات الحية، فلو قلنا مثلا رحل فلان فهذا يعني انتقاله من عالم محسوس إلى عالم غيبي مجرد مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ"[5]. كما تعني "الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين ماديا كان هذا الهدف أو معنويا، أما الحركة خلال الرحلة بقطع المسافات فهي السفر جمعه أسفار"[6]، ومنه قوله تعالى: "فقالُوا ربَّنا باعِدْ بَيْن أَسْفَارِنا"[7].

2 . التعريف الاصطلاحي للرحلة:

لازمت هذه الكلمة الإنسان منذ خلقه الله سبحانه وتعالى بعد أن أمر آدم عليه السلام بأن يهبط إلى الأرض، "وفي مجمل الروايات هبط عليه السلام إلى الأرض ونزل في الهند - جزيرة سرنديب - على جبل يقال له بُوذ وحواء نزلت بجدة، وكانت هذه الرحلة أول رحلة عرفها الإنسان. يقول ابن بطوطة في رحلته أن مراده منذ وصل هذه الجزيرة زيارة القدم الكريمة، قدم آدم عليه السلام"[8]. ونجد الإمام الغزالي يعرف السفر والرحلة بأنهما "نوع حركة ومخالطة، فيه تعب ومشقة وأخطار، وهو وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه"[9]. فهي "تعبر عن رغبة في التغيير الداخلي، تنشأ موازية مع الحاجة إلى تجارب ذاتية أكثر من تعبيرها في الواقع عن تغيير مكاني"[10]. فالرحالة في هذه الحالة تكون لديه رغبة في التغيير نتيجة الحالة النفسية التي يعيشها، والخروج هنا يكون بحثا عن الأفضل.

فكما هو معروف حياة العربي كانت قاسية قائمة على الرحلة والترحال، وتلك الظروف التي كان يعيشها جعلته يتنقل من مكان إلى آخر، إلى أن أصبحت جبلة وظاهرة طبيعية في حياته اليومية، صارع الطبيعة وتحداها لأجل البقاء، فعيشته كانت مضطربة لا قرار ولا هدوء فيها نتيجة عدم استقراره وضربه في أطراف الأرض حاملا على كتفه عصا الترحال، حيث توفرت فيه القوة والقدرة على تحمل المشاق والصعاب الجسام، وكذا القدرة على مواجهة المجهول المليء بالمخاطر والأهوال من بيداء مقفرة وحيوانات ضارية، أما الطبيعة فكانت بالنسبة له الممون الرئيسي في تلك الفترة، روض بعض الحيوانات واستعملها كوسيلة من وسائل السفر عوض سيره على الأقدام،

وبذلك سهل على نفسه عملية الانتقال وكفلت له هذه الأخيرة التحرك الأسرع، وبفضل هذه المجهودات تحول من مستهلك إلى منتج، وبذلك يكون قد حقق هدفه ولبى حاجته، إلا أنه لم يتوقف يوما عن الرحلة.

كما نجد عبد الله المقدسي صاحب كتاب التقاسيم في معرفة الأقاليم يرسم ويوضح لنا الطريقة التي انتهجها في جمعه للمعلومات، مبينا من خلالها ضرورة النزول إلى الميدان لتقصي الأخبار وجمع المادة، وذلك بمخالطة العباد من علماء وفقهاء ورجال دين، فهو لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بعد معاناة وجهد وشقاء بحثا عن المعلومة من مصدرها الأصلي بعد تحقيق وفحص وتمحيص إذ نجده يقول: "وتم لي جمعه إلا بعد جولاني في البلدان، ودخولي أقاليم الإسلام، ولقائي العلماء وخدمتي الملوك ومجالستي القضاة، ودرسي على الفقهاء، واختلافي إلى الأدباء والقراء وكتبة الحديث ومخالطتي الزهاد والمتصوفين، وحضوري مجالس القصاص والذاكرين مع لزوم التجارة في كل بلد. ولكل أحد التفطن إلى هذه الأسباب بفهم قوي حتى عرفتها...، ودوراني على التخوم حتى مررتها، وتنقلي إلى الأجناد حتى عرفتها، وتفتيشي عن المذاهب حتى علمتها، وتفطني في الألسن والألوان حتى رتبتها، وتدبري في الكور حتى فصلتها، وبحثي عن الأخرجة حتى أحصيتها"[11].

وخلال تلك الرحلات تأثر الإنسان بالطبيعة وبدأ يصف ما تقع عليه عينه من صحار وجبال ووديان، وأصبحت الرحلة بذلك ظاهرة سلوكية بالنسبة له، وقد انعكس ذلك على الأدب بصفة عامة والشعر بصفة خاصة، فشعرهم ونثرهم يشهدان على ذلك، إذ اعتبر وصف الرحلة من العناصر الأساسية في القصيدة الجاهلية، من خلالها عبر عن حياته وعن صدق شعوره بعد وقوفه على الأطلال وبكائه على الزمن.

3 . أدب الرحلة: تعريفه وأهميته

لم يقتصر الإنسان رحلاته على الأرض بل تعداها إلى القمر، حيث أصبحت هذه الرحلات سجلا لمختلف مظاهر الحياة، كما كان لها بالغ الأثر في تطور العلوم والمعارف الإسلامية خاصة في علم الحديث، ومن أقدم نماذجه الذاتية "رحلة ابن بطوطة" التي نجدها تحمل مشاهد وذكريات وعادات وتقاليد المجتمعات وسلوكياتهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية بمختلف طبقاتها وفئاتها في كتابه الموسوم برحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، حيث استطاع أن ينقلنا عبر سطوره إلى أماكن ترحاله وجعلنا نعيش أحداث عصره بأدق تفاصيله. فهذه الرحلة تعتبر صورة شاملة دقيقة للعالم الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري، لها اتساع مكاني وزماني ما جعلها تحمل تلك الدلالات والإيحاءات والمعاني، وهذا لا يمنع من عدم خلوها من الغرائبية الروائية أي وجود العجائبي وذلك لامتزاج الخيال بالواقعي فيها.

ونستطيع القول أن أدب الرحلة مزيج أو خليط من الجغرافيا والإثنوغرافيا[12] كونه الأقرب إلى الجغرافيا في وصفها للطرق وتحديد مواقع البلدان وعادات المجتمعات، فالرحالة ينقل لنا فيه طبائع الناس وعاداتهم من المشاهدة الحية من ناحية، ويصف طرق ومناخ وتضاريس تلك المناطق التي زارها من ناحية أخرى، كما يقوم بتصوير الحياة بمختلف مجالاتها فيرسم لنا صورة عن الأمصار ناقلا أهم الوقائع الأحداث فيها.

فهو ذلك النثر الأدبي الذي اتخذ من الرحلة موضوعا له، تكتب في شكل أدبي نثري مميز وفي لغة خاصة من خلال تصور بناء فني له ملامحه وسماته المستقلة[13]، ارتبط بحياة التنقل والترحال عرفه العرب منذ القدم، نقل فيه الرحالة ما شاهده بدقة مصورا المواقف والمواقع وكل ما يستحق التسجيل بعبارات واضحة ولا يقوى على ذلك إلا عالم بأوضاع البلاد الجغرافية من خلال تحديده للمواقع ووصفه للمسالك.

"وفي كثير من الأحيان، جعلوا كتبهم تأخذ طابعا فنيا أدبيا تاريخيا جغرافيا حتى غدت أشبه بالموسوعة الثقافية"[14]، لتطرق أصحابها لمختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى العقائدية، فأصبح يشكل "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول

انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة تلو الأخرى، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد"[15].

فهذا الخروج يكون ذا دافع وجداني، وقد يكون نابعا من رغبة في التغيير وحبا لاكتشاف المجهول وإشباع حاجة في نفس الإنسان، خلالها يرصد المشاهد المختلفة بعد تأمل دقيق، لينقل لنا بعد ذلك كل ما شاهده معبرا عن عواطفه ومشاعره وأحاسيسه عند امتثاله أمام تلك المناظر التي مر بها، واصفا البلدان التي زارها ناقلا عوائدهم وأخلاقهم وأفكارهم مبديا رأيه في تلك المسائل التي صادفها أثناء رحلته، فيقف أمامها وقفة المندهش المنبهر والمستغرب المتعجب، فبالنسبة إليه تعتبر اكتشافا جديدا نتيجة اصطدامه بنمط حياة جديد يختلف عن واقعه الذي تعود عليه، في حين يراها المنتمي للمكان عادية، ذلك أن الألفة قد تحجب مظاهر الغربة كما تحجب مظاهر الجمال، "وهذا ما يفسر عدم اهتمام الرحالين بما يحدث في موطنهم الأصلي، كالعبدري الذي لم يسجل عن المغرب الأقصى إلا القليل بالقياس إلى ما سجله عن البلدان الأخرى الواقعة على خط سيره، الممتد من جنوب المغرب الأقصى إلى الحجاز فالشام فالعودة إلى بلاده برا"[16].

"وبغير الرحلة لا تعبر الجغرافية عن الحقيقة، بيد أنه ينبغي أن نفرق بين الأدب الجغرافي الذي تركه لنا الجغرافيون المحترفون، وتلك المعارف الجغرافية التي خلفها لنا الرحالون، فبينما يقوم الجغرافي المحترف برسم صورة كاملة عن المنطقة موضع الدراسة بعد أن يسأل ويستقصي ويحقق يكتفي الرحالة بنقل ما يشاهده، فتأتي الصورة التي يرسمها جزئية لكنها ثمينة وموحية وكثيرا ما يزيد من ثرائها إضافة شيء من التاريخ أو من السياسة أومن عادات الشعوب، تعرض في أسلوب قصصي بديع، وهذا ما اتصفت به مشاهد رحلات هذا العالم الأديب"[17]. لذلك اعتبرناه من أهم المصادر الحضارية والعلمية والاجتماعية والثقافية، فهو بذلك يحمل قيما كونه يعد من أكثر المدارس تثقيفا للإنسان لنقله مختلف العلوم، ونقل تلك المعلومات كان لا يتم إلا بعد معاينة تلك المناطق ومعاشرة الرحالة لسكانها.

انطلاقا من تلك الرحلات "نشأت لدى البدو عموما ثقافة فلكية طيبة انبثقت من طبيعة حياتهم الدائمة الترحال في الليل والنهار وفي الصيف والشتاء...، وقد قيل أن براعة العرب في علم الفلك ترجع قبل كل شيء إلى صلاحية بيئتهم الطبيعية لتطور هذا العلم...، إذ كانوا يهتدون بالقمر وببقية النجوم في مسارهم الليلي"[18].

لقد ضم هذا الأدب معارف وعلوما مختلفة، فمن التاريخ نقل لنا حقبة من الحقب التي عاشها الإنسان فوصف المماليك والحالة السياسية في تلك الفترة وطريقة تسيير الحكم فيها، وجغرافيا وصف المسالك كما نعرف الحاجة كانت لها أشد، كما وصف الأقاليم ورسم الحدود وحدد المناخ في تلك الدول وما فيها من سهول وجبال ووديان، كما اهتم بالجانب الاقتصادي والديني والاجتماعي، ووضع كل ما نقله بين أيدي الجغرافيين والمؤرخين وعلماء الاجتماع والاقتصاديين ودارسي الأدب، وبذلك كان خادما لكل المجالات، فقد كانوا أهل علم وثقافة وعزم وثبات، وكل ذلك لم يتحقق إلا بالتضحية وركوب الصعاب.

. ثانيا: أنواع الرحلات ودوافعها الأساسية

1 . الدواعي الأساسية للرحلات عند المغاربة:

هل يمكننا القول بأن تطور الإنسان مرتبط بترحله من مكان لآخر؟ وهل نستطيع الجزم بأنه لولا تنقل الإنسان بين مختلف الأصقاع لما تغير تاريخ العالم؟ إنهما تساؤلان يلحان على أذهاننا ونحن نرصد العوامل والمؤثرات التي تحث الإنسان على الارتحال أو الهجرة من مصر إلى غيره، وما من شك أن معرفة الآخر واستكشاف العالم المحيط بنا يشكل أبرز عوامل هذا التنقل، بيد أن حب المغامرة وراء المجهول أو تحقيق أهداف مادية أو مثالية يظلان دافعين حاضرين في أغلب ما نقوم به من رحلات، "ولكنها – أي الرحلات تكون - في الحالتين استجابة مباشرة لحوافز ودوافع محدودة تدعو بكل إلحاح للحركة والانتقال من مكان إلى مكان آخر بمعنى أن من شأن دوافع

معينة أن تدعو الإنسان: الفرد أو الجماعة دعوة صريحة وملحة، لكي يخترق حاجز المسافة، ولكي يتحمل مشقة السفر ومتاعب الاغتراب وصولا إلى غاية مباشرة أو تحقيق لهدف معين"[19].

ولعل هذه الرحلات تشقي الإنسان وتغير من أنماط حياته وتفكيره وإنتاجه، إلا أنها ظاهرة طبيعية مميزة له، فالحركة رمز للتحرر بمفهومه الوجدي أو الطبيعي، والالتزام بمكان قار رمز للجمود المادي والعقلي، إن الترحل شقاء ولكنه شقاء في طياته نِعم، وهذا ما يبدو جليا في قول باشكال: "السبب الوحيد لشقاء الإنسان هو أنه لا يعرف كيف يستقر هادئا في حجرته"[20].

وبتأمل تاريخ العالم العربي والإسلامي نجد أن المغاربة كانوا أكثر تنقلاً وترحلاً من سائر العرب والمسلمين، وقد كانوا منذ القديم أهل سفر وترحال، ولعل الموقع الجغرافي ساعدهم على ذلك، حيث كان المغرب في أقاصي بلاد الإسلام، "ولهذا انتظمت رحلات المغاربة الأقطار المختلفة شرقًا وغربا، بلاد إسلامية وغير إسلامية"[21].

ويمكن أن نضيف إلى الدافع الديني وموقع المغرب الدافع العلمي، فالرحلة شرط من شروط اكتمال المعارف ووسيلة للقاء الشيوخ، أما الدافع التجاري يرجع الفضل فيه إلى الموقع الجغرافي، فالمغرب ممر للطرق التجارية الكبرى. وكانت أغلب رحلاتهم تيمم وجهها شطر المشرق والأماكن الإسلامية المقدسة، إذ على الرغم من وقوع بلادهم في أقصى الغرب الإسلامي إلا أنهم كانوا يتجشمون كل وعر في البر والبحر قصد زيارة مهد الدين والفاتحين الأوائل، والحق أن الدارس المتأمل في تاريخ المغرب العربي الإسلامي يلفت نظره بشدة هذه الظاهرة المميزة لأهل المغرب طيلة الوجود العربي الإسلامي بها.

إذن ثمة دوافع متنوعة وراء قيام علماء الغرب الإسلامي بالرحلة، وربما تكون هذه الدوافع وراء تحديد اتجاهات الرحلات وتصنيفها لديهم، "علما أن الدافع إلى الرحلة والتجوال هو بُعد المغرب والأندلس عن المشرق العربي، وبما أن بلاد الحجاز هي مهد الحضارة العربية الإسلامية ومهبط الوحي، فالحج كان ولا يزال رحلة يتشوق إلى أدائها الناس عامة والعلماء والفقهاء خاصة"[22]، فالدافع الديني يعد من أقوى الدوافع المحركة للرحلات المغاربية إلى المشرق العربي، خصوصا وأن بلاد الغرب الإسلامي عرفت جوا روحيا خاصا، حتى أصبحت المقاييس الدينية متحكمة في كل نواحي الحياة.

وإذا ما حاولنا إجمال أهم الدوافع والبواعث التي حثت المغاربة على سلوك هذا النهج، لأمكننا القول إنها تتجلى فيما يلي:

- إن وقوع المغرب في أقصى الغرب الإسلامي شكل باعثا قويا للمغاربة قصد الترحل نحو المشرق كي يؤكدوا أنهم عرب مشارقة وإن نأت بهم الديار منأى بعيدا، ذلك أن الغربة تدفع الإنسان - كثيرا - إلى محاولة تحدي عقبات الزمان والمكان قصد التأكيد على الانتماء نحو المهد الأول له، فالمغاربة "من بُعدهم عن الحجاز ومنابت أصولهم في الشرق استمدوا مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والحنين إلى طيبة وسبقوا المشرقيين إليه"[23].
- إن الذهاب إلى الأماكن المقدسة بالحجاز وفلسطين وأداء مناسك الحج وزيارة مهد العربية والعروبة، والنهل من منابع العلم المشرقية مثّل أبرز دافع كان يحث المغاربة على النزوح نحو الشرق بصفة مستديمة، وهذا ما نجده عند أغلب الرحالة المغاربة في الرحلات الحجازية.
- ومما شجع المغاربة على كثرة الترحل نحو المشرق هو انعدام ما يصطلح على تسميته بالحدود السياسية في عصرنا هذا، وتوافر وسائل المواصلات البرية والبحرية وتنظيمها الدقيق رغم ما كان يحدق بها من أهوال ومخاطر، حتى ليظهر أن تواصل المشارقة مع المغاربة وقتذاك كان أشد كثافة مما هو عليه الآن، ولعل هذا ما قصده الباحث عبد الحليم عويس حين قال: "وقد ساعد على نجاح هذه الظاهرة أن حركة الانتقال كانت مباحة بين العواصم الاسلامية على هيئة بحوث علمية، وتسابق في الحصول على إجازات العلماء والشعراء، وفي اقتناء الكتب الكبيرة والنادرة"[24].

2 . أنواع الرحلات:

بفعل ما سبق ذكره من الدوافع الأساسية للرحلات عند المغاربة يتبين أنهم أبدعوا في كتابتها وصفا وتسجيلا فعرفوا أنواعا كثيرة، حاول الدارسون تصنيفها وحصرها، لكنهم اختلفوا في تصنيفاتهم لها، فعين صلاح الدين الشامي ستة أنواع للرحلة، ثلاثة منها ظهرت قبل الإسلام وهي: رحلة التجارة، ورحلة الجهاد، والرحلة السفارة، والثلاثة الأخرى ظهرت بعد الإسلام، وهي رحلة الحج، ورحلة طلب العلم، ورحلة التجوال والطواف[25].

يقول صلاح الشامي: "أن الرحلة اعتبار من القرن السادس الهجري (العاشر الميلادي) انطلقت على أوسع مدى وتجاوزت ديار المسلمين، على أمل أن تحقق أهدافا متنوعة، اقتصادية وهي تعمل لحساب التجارة، ودينية وهي تعمل لحساب فريضة الحج، وإدارية وهي تعمل لحساب العلاقات بين الدول الإسلامية ومجتمع الدول الخارجي، وعلمية وهي تعمل لحساب العلم وطلب المعرفة"[26].

أما محمد الفاسي فيعدد أنواع الرحلة خمسة عشر نوعا، وهي الرحلات: الحجازية، والسياحية، والرسمية، والدراسية، والأثرية، والاستكشافية، والزيارية، والسياسية، والعلمية، والمقامية، والبلدانية، والخيالية، والفهرسية، والعامة، والسفارية. ويمكن إدراج الكثير من هذه الأنواع تحت عنوان واحد شامل كالرحلات الرسمية التي تضم السياسية والسفارية، ويمكن التركيز على أكثر الأنواع شيوعا، كالرحلات العلمية، الدينية، والرسمية، والتجارية[27].

1.2 الرحلات الدينية:

يعد الحج الدافع الأساسي لدى المغاربة للقيام برحلات لأنهم كانوا أبعد الناس عن الحجاز من جهة الغرب، فكان شوقهم لأداء الفرائض وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من غيرهم، وكانوا يتحملون في سبيل ذلك مشاق السفر، وأطلق على هذا النوع الرحلات الحجازية أو الحجية، وفيه من التراكم الكيفي والكمي، بحيث يعد الصنف الأول من حيث الكتابة، فكان الحج من أهم العوامل التي دفعت بالمسلمين من كل فج عميق وعلى كل ضامر إلى الرحلة والانتقال، فالحج كان ولا يزال رحلة يتشوق إلى أدائها كافة الناس، وليس علماؤهم أو فقهاؤهم فقط.

أما النوع الثاني فهي الرحلات الزيارية والصوفية، وهذا النوع يكتسي طابعا دينيا وروحيا، ويتمثل في زيارة العباد والزهاد والوعاظ، ويعتبر أبو بكر الهروي المتوفى سنة 611هـ/1215م أشهر الرحالين المختصين في المزارات المتبرك بها، وقد دون تنقلاته تحت عنوان "الإشارات إلى معرفة الزيارات"[28]، وهو دليل لزيارة الأضرحة والمقامات المشيدة في البلدان الإسلامية، ولا تخلو كتابته من إفادات جغرافية وتاريخية عن الأقاليم التي مر بها، أما المغاربة فلهم مشاركة بدورهم في مجال السياحة الدينية والدعوة للتربية الروحية في مختلف البلدان العربية والإسلامية، ومنهم من خلف لمريديه وتلامذته طريقته الصوفية.

2.2 الرحلات العلمية:

تعود نشأة الرحلة في طلب العلم إلى بداية انتشار الإسلام، فمنذ "عهد مبكر ارتحل المغاربة إلى المشرق لأهداف تعليمية"[29]، فالرغبة في طلب العلم استجابة لدعوة الشارع إلى التعلم، ولعل أبرز رحلة لطلب العلم في القرن الثاني الهجري ما نسبه الربيع بن سليمان إلى شيخه الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة 204هـ، ومما رواه عنه قوله: "وأقبلت أطوف العراق وأرض فارس وبلاد العجم وألقى الرجال، حتى كتبت وأنا ابن إحدى وعشرين سنة"[30].

ومن رحلات الغرب الإسلامي ما "اتسمت بالطابع العلمي التوثيقي، يمكن أن نلاحظ هذا في رحلات ابن رشيد، والعبدري، والتجيبي، والبلوي، وابن خلدون، والقلصادي..."[31]، وهذا ما نوه إليه عبد الرحمان ابن خلدون في مقدمته الشهيرة، إذ قال: "والرحلة لابد منها في طلب العلم ولاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[32]، فالهدف من الرحلة هو التزود بالعلم ومقابلة الشيوخ من العلماء، ولقد كانت الرحلات في العصور الإسلامية معيارا للحكم على مستوى العلماء.

3.2 الرحلات التجارية:

كانت التجارة منذ القديم أمرا يقتضي القيام بالرحلة والسفر البعيد من أجل تأمين سبل الحياة والكسب، ثم إن الموقع الاستراتيجي للبلاد العربية وكونها مركزا لالتقاء الطرق التجارية بين القارات، شجع العرب على ممارسة الترحال من خلال ما سمي برحلتي الشتاء والصيف، أما المغاربة فقد قاموا برحلات من أجل التجارة، وهم أولئك الرحالة الذين جابوا البحار والمحيطات وسافروا عبر المغاور والشعاب ينتقلون وينقلون بضائعهم من بلد إلى آخر، وقد يقضون في متاجرتهم هذه سنين عدة، وعندما ينتقلون إلى أوطانهم عائدين يأخذون في سرد الحكايات والأحاديث في أسلوب شيق عما صادفوه أو شاهدوه، ويحكون عن البحر وأهواله وعن أسماكه ومحاره، وعن قاطنيه وطبائعهم وعاداتهم.

4.2 الرحلات السياحية:

لقد سعى بعض الرحالة إلى البحث عن الحرية والاجتياز المكاني، حيث المهم هو السفر لا المكان الذي يرتحل إليه، فالدافع القابع وراء القيام بهذه الرحلة هو التمتع بالحياة والوصول إلى مواطن الجمال في كل مكان، والرغبة في اكتشاف ما لم تره العين، فيقوم الرحالة بالسفر بمحض إرادته دون دافع خارج عن حدود الذات[33]، لذا جاءت بعض الرحلات لارتياد الأماكن ووجوب الآفاق والترويح عن النفس، وقد امتدت الرحلة لتتجاوز مضمون الحج أو المهام الرسمية ليجول الرحالة في البلاد التي طالتها يد الإسلام وشاع فيها الأمن والاستقرار في أكثر أنحائها، يريد أن يرى ويعرف أشياء كثيرة، لذا قد تجتمع عدة أسباب لرحلة ما، كما هو عند ابن بطوطة الذي زار أصقاعا عديدة بدافع الرغبة التي تفرضها الذات، وحب الاطلاع على الحضارات بثقافاتها المتنوعة، وقد قضى من عمره شطرا كبيرا في الترحال والسفر، فكانت رحلته حجازية سياحية في مضامينها.

5.2 الرحلات الرسمية:

يضم هذا النوع كلا من الرحلات التكليفية، والإدارية، والسفارية، وهي خاصة بدوافع عديدة منها "تفقد أمر الرعية، أو تلبية طلب الحاكم في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة، أو الإتيان بأخبارها، فقد تكون في إطار التجسس أو الاستطلاع"[34]. وعدت السفارة الشكل الرسمي للرحلات، حيث يوكل بها الرحالة من قبل الحاكم، وهي الرسالة التي يتنافس على أدائها من يتكلفون بها، إذا كانت تقترن في نفوسهم برفعة الدولة الإسلامية وعلّو شأنها، فالسفير ممثل لدولته وعنوان لرقيها، وكانت السفارة لا تنقطع بين الدول العربية وما جاورها من الدول لأغراض ومقاصد متنوعة، إما لتصفية الأمور السياسية أو لمقصد الصلح، وقد تكون نتاج علاقات سياسية[35]. فالرحلات التي أرسلت لتأدية مهمة رسمية أو سفارة، بين الدول المغاربية والدول التي ترتبط معها بعلاقات وثيقة، وهي رحلة خاصة ممولة من قبل السلطة المركزية في الدولة، وقد خطّط لها مسبقا ولها أهداف معلومة، وأغراض محددة منذ البداية.

وقد جاب الرحالة السفراء مشارق الأرض ومغاربها، وعند عودتهم تجد كتابتهم مليئة بأوصاف مثيرة عن ترتيبات الدول وأنظمتها، ومراسم استقبالها السفراء، والوفود الرسمية الوافدة، من أبهة ووجاهة وتقاليد خاصة تبرز قوتها ومكانتها، فضلا عن أوصافهم للمسالك والطُّرق وعادات الناس.

إذن فالرحلات السفارية تتعلق بتبادل السفارات بين الدول الإسلامية أو بينهم وبين الدول الأجنبية، وغالبا ما يسكت الرحالون عن الهدف الأساسي من سفارتهم، ويكتفون بالإشارة إلى الرغبة في استمرار السلام والعلاقات الحسنة مع البلد المزور وعقد الصفقات التجارية، وتحدثت كتب التاريخ عن العديد من السفراء ودورهم المتميز في الدفاع عن بلدانهم وتحديد مواقفهم من حضارة الآخر، ونسوق على سبيل المثال من الغرب الإسلامي والمغرب رحلة السفير عبد الله بن العربي المعافري صحبة ابنه أبي بكر اللذين توجها إلى الخليفة العباسي ببغداد بعد موقعة الزلاقة، فخلف رحلته المعروفة "بقانون التأويل"، والسفير الثاني يحي بن الحكم الغزال إلى بلاد النورماند

والقسطنطينية في منتصف القرن التاسع الميلادي، والسفير الثالث هو محمد بن عثمان المكناسي، وخلف ثلاث رحلات هي: "الإكسير في فكاك الأسير" والثانية تحمل عنوان "البدر السافر" والثالثة سماها "إحراز المعلى والرقيب".

. ثالثا: رحلة ابن بطوطة: قيمتها التاريخية وصورة الآخر فيها

تعد رحلة ابن بطوطة من أهم المعالم والمصادر التاريخية والجغرافية العربية، من خلالها جعلنا نعيش مغامراته ونطلع على أدق تفاصيل حياته اليومية، كما جعلنا نتغلغل داخل المجتمع الإسلامي ونسترجع ذكريات ذلك الماضي القديم ونرى ماذا كان يفعل؟ كيف كان يعيش؟ ماذا كان يأكل؟ وكيف كان ينظم حياته؟ ومثل هذه التفاصيل الدقيقة لا نجدها إلا عند ابن بطوطة ونفر قليل من الرحالة والكتاب أمثال ابن جبير والمسعودي، "فهما يعتبران من أهم أعلام الفكر العربي الإسلامي في عصرهما، أحاطا بالمعرفة إحاطة وافية وتمثلاها تمثيلا صحيحا"[36]. فأصبحت بذلك رحلة ابن جبير الأندلسي 614هـ ورحلة ابن بطوطة المغربي 677هـ من أشهر كتب الرحلات في القديم، فقد حفظا لنا الشيء الكثير من صور العالم الذي زاره والمجتمع الذي عاصره وشاهداه والشخصيات التي تعرفا بها وعاشا معها، وهي صور وملامح تجردت عنها كتب التاريخ التي يدور موضوعها غالبا حول الملوك والأمراء، وحول الأحداث السياسية والحرب والمنافسات والعزل، والنصب وكتب التراجم التي تدور حول العلماء والمشايخ والمناقب والفضائل[37]، فبوصف ابن بطوطة لمنازلهم وأكلهم وملابسهم وطعامهم وشرابهم، وكل ما يتعلق بحياتهم ونظمهم الاجتماعية والدينية وحتى الاقتصادية بأدق تفاصيلها، يكون قد نقلنا معه إلى أماكن ترحاله خلال القرن الثامن الهجري وأحيا ذاكرتها، "وفتح أعيننا على عالم من الواقع والسحر والجمال، وشوقنا إلى الترحال والسفر من مكان إلى مكان، وجعل من دنيا الله الواسعة كتابا يخلد ذكراه إلى آخر الزمان"[38].

1. القيمة التاريخية لرحلة ابن بطوطة:

ستظل رحلة ابن بطوطة - شأنها شأن التآليف والأعمال الكبرى - منجما غنيا ومنبعا ثريا زاخرة بالمعلومات والأخبار والطرائف والعجائب والغرائب كذلك، يستخرج منها الدارس ما يحتاج إليه في بحوثه عما كان يسمى بالعالم القديم برمته في القارات المعروضة آنذاك، وهي آسيا وإفريقيا وأوربا، ذلك أن رحلة عبد الله اللواتي الطنجي (703-779هـ/1303-1377م) [39] تنفرد بكونها رحلة واسعة ممتدة في الزمان والمكان سلخ صاحبها أكثر من ثلث عمره في جوب الآفاق وطي سهولها وجبالها وصحاريها وبحارها وأنهارها بصبر وعزيمة، وتلهف للاكتشاف.

قدمت لنا الرحلة أحوال بلدان استأثرت باهتمام رحالتنا وزياراته وجولاته، فقدمها لنا في صورتها التي كانت عليها زمن الرحلة، وهو القرن الثامن الهجري، مما أضحت معه الرحلة مصدرا لا يستغنى عنه في جغرافية هذه البلدان وتاريخها وأحوالها الاجتماعية. فقيمة الرحلة إذن تكمن فيما تحفل به من معلومات متنوعة من أجزاء واسعة من العالم القديم[40]، حتى عُد أعظم رحالة عرفه العرب في تاريخهم الوسيط[41]، لأن رحلته تميزت بشمولية عظيمة تكاد تفتقد في أي مؤلف من مؤلفات الرحالة القدماء مشرقا ومغربا[42]، فأهل المغرب - إلى عهد ابن بطوطة - أقصى غايات الرحلة عندهم المشرق عامة والحجاز على الخصوص، للأهداف الدينية والعلمية والثقافية والتربية الصوفية مما سبق ذكره في دواعي الرحلات، هذا ما جعل التراث الرحلي بالمغرب لا يخرج عن هذا الإطار ولا يتعداه، لذا فرحلة ابن بطوطة فريدة في بابها متميزة عن غيرها في المغرب بل وفي التراث الرحلي العالمي جميعه، فالرحلة نموذج عديم المثال أجبر بأن يقدم لنا صورة متكاملة لأهم بلدان العالم القديم، بما عرف به صاحب الرحلة من اقتحام المجاهل واكتشاف المفاوز في إقبال نادر ورغبة جامحة واندفاع غريب، فجاءت هذه الرحلة جامعة واسعة تستوعب الرحلات الحجازية والزيارية والسياحية والسفارية.

إنّ الَّذين أرادوا تصنيف رحلة ابن بطوطة وجدوا صعوبة في تصنيفها ضمن نوع من الأنواع المعروفة للرحلة، فهل يمكن تصنيفها من بين الرحلات الحجازية انطلاقا مما عبر عنه صاحبها وهو يغادر بلده طنجة[43] من رغبته في حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا ما أكده حين مرض ببجاية بقوله: "ولما وصلنا إلى بجاية كما ذكرته أصابتني الحمى فأشار علي أبو عبد الله

الزبيدي بالإقامة فيها حتى يتمكن البرء مني، فأبيت، وقلت: إن قضى الله عز وجل بالموت فتكون وفاتي بالطريق، وأنا قاصد أرض الحجاز"[44]، أم تصنف بما انتهت إليه من توسع في فضائيها الزمني والمكاني ضمن الرحلات السياحية المتنوعة؟ الحقيقة أن ابن بطوطة ومنذ أن كاشفه الشيخ المرشدي في مصر[45] بتوفيق الله في زيارة البلدان البعيدة، قد استبدت به رغبة الاستكشاف والاطلاع فأقبل بكليته على الرحلة والتجوال، يقطع المسافات الشاسعة للتأكد مما سمعه أو وصف له، فيغامر بتسلق الجبال الوعرة، وجوب الفيافي المقفرة للوصول إلى بلد معين، أو للالتقاء بشيخ...

وانصرافه الكامل إلى هذه الرحلة الواسعة لم يتأت له إلا بعد انصرام ثماني سنوات من شروعه في الرحلة، حيث انفلت من الانجذاب نحو الحجاز ليولي وجهه نحو مناطق قاصية مدفوعا بتطلعه السياحي الّذي أضحى متحكما في حركاته وسكناته، فيستهل مغامرة الترحال في جبال التبت مدة شهر كامل للقاء الشيخ جلال الدين التبريزي[46]، ويشد الرحال من دهلي للوقوف على الغار الّذي احتفره الشيخ شهاب الدين الجامي[47]، ويسافر إلى بلغار ليتأكد من ظاهرة قصر الليل بها، ويقصد جزر الملديف لرؤية ما سمعه عنها من طرائف وعجائب وغرائب، وهكذا فالذي يرسم له خط السير ويحركه هو رغبته في التعرف على الأمكنة والناس ولم يكن له هم أينما حل وارتحل غير تحقيق هذا الهدف السياحي العلمي الزياري، حتى أنه من شدة تلهفه لزيارة البلدان العديدة كان لا يعود على طريق سلكها ما أمكنه ذلك[48].

كانت طبيعة مضمون الرحلة المتسم بالغرابة والإيغال في الأسطورة والخرافة كما يشي به العنوان، فيجمع في وصفه للبلدان بين الواقعي والخيالي والعجائبي كما في وصفه لجبل سرنديب، وأرض الظلمة شمال روسيا، ولا تخلو أخبار المناخ من العجائب كذلك، فبلدة جمكان قرب شيزار بها مناخان متناقضان برودة شديدة وحرارة مفرطة[49].

أما فيما يخص الملمح التاريخي، فالرحلة سجل حافل بأخبار الأُسر الحاكمة آنذاك، ومن أهم أخبار الحاكمين ما رواه من حكايات وغرائب عن سلاطين الساحل والمحيط الهنديين[50]، من حيث أنظمتهم وأزيائهم واستقبالاتهم، وطرق توارث الحكم فيما بينهم... ففي بلاد المليبار مثلا يورث السلاطين الملك لأبناء أخواتهم دون أولادهم، وفي الصين إذا مات السلطان يدفن في بيت مفروش ومعه سلاحه وثروته وجواريه ومماليكه.

إن الملمح الاجتماعي في رحلة ابن بطوطة أقوى من غيره - المجالات الجغرافية والتاريخية والحضارية - لأن ابن بطوطة كما يرى الباحث نقولا زيادة "كان عظيم الاهتمام بالناس وخاصة بالعلماء والأولياء، ومن ثمّ فالرجل - بالإضافة إلى كونه رحالة من الطبقة الأولى - يمكن اعتباره مؤرخا اجتماعيا للمسلمين في عصره"[51]، فالجانب الاجتماعي هو الّذي يميز ابن بطوطة عن غيره ممن كانت هذه البلدان مسرحا لجولاتهم، إذ وفق - كما لاحظ رشيدي فكار - إلى "أن يقدم وصفا للحياة الاجتماعية بل والحياة اليومية للمناطق التي زارها بما فيها من عادات وتقاليد وحرف ومهن سائدة"[52].

وهكذا فالرحلة تزخر بالمعلومات التي يفيد منها الباحثون في الأنثروبولوجيا، والإثنوغرافيا والسوسيوغرافيا وعلم الاقتصاد... ذلك أن الرحالة كان دائم الوقوف على الظواهر الاجتماعية والاقتصادية التي لفتت انتباهه وأثارت فضوله، فاعتبر بعضا منها يدخل في الطرائف والعجائب والغرائب، وانتقد بعضها حين يبدو التعارض بينها وبين تعاليم الإسلام.

2 . صورة الآخر في رحلة ابن بطوطة:

يعد أدب الرحلة في المغرب تصويرا للحضارات التي زارها الرحالة وعايشها بما تحوي من الأخبار ونوادر الحكايات، وعجائب الموجودات، وعادات الأمم وأخلاقهم، وبما تشتمل عليه من فوائد تاريخية وجغرافية، ووصف الأماكن والبلاد، فما نقله الرحالة في مؤلفاتهم قدم إفادة كبيرة للجغرافية الطبيعية والبشرية، وأسهم في جذب عُرى التعارف والتقارب بين الأمم من خلال التبادل الثقافي الاجتماعي والاقتصادي. وقد شكلت الرحلة الوسيلة الأمثل لتحقيق أواصر التعاون بين الأنا والآخر، والبعد عن النفور باكتشاف ما خفي من فكر

الآخر وثقافته وتجليه مواطن الغموض في الصورة المأخوذة مسبقا عن طريق المعاينة والوقوف عن أبرز ما يمثل هذا الآخر، يدعم ذلك كله أن الرحالة كانوا مأخوذين بالدهشة والاندفاع نحو المجهول ومعرفة أسراره، حيث نجد أن رحلة ابن بطوطة بالإشارة إلى أهم جوانبها، تُكْمل لنا صورة الرحلة في الثقافة العربية الإسلامية وترسم لنا جملة من الأبعاد في النظر إلى الآخر ورسم صورته.

نعلم أن ابن بطوطة وإن كان فقيها وقاضيا، لم يكن هو مؤلف الرحلة التي تحمل اسمه، فهو قد اكتفى بإملائها وبسرد الحكايات والأخبار التي تتضمنها، أما كاتب الرحلة ومحررها فهو شخص آخر يدعى ابن جزي[53]، ولم يكن من تأليف الفقيه الطنجي سوى مدونات وتقاييد يسيرة أمد بها ابن جزي، مع العلم أن أسفار ابن بطوطة قد اتصلت ثلاثين سنة أو تكاد، في حين أن كتابة الرحلة لم تحصل إلا بعد الفراغ من التنقل والانتهاء من زمان السفر، والتنقل وإن أغلب ما دونه ابن بطوطة قد ضاع منه في أسفاره أو أنه قد سلب منه في جملة ما سلب من متاعه حين هاجمه "لصوص البحر"، فإن المعول عليه عند ابن بطوطة هو ما حفظته ذاكرته واعتمل في صدره، والعمدة في الرواية والإخبار ما سلم من أثر النسيان، فالرحلة هي ذلك العالم الذي عاشه صاحبه أولاً ثم يتحدث عنه ويتذكره ثانيا.

يحفل النص الرحلي البطوطي عموما بأبعاد سيرية وبيوغرافية وتراجمية ومناقبية تتفاعل لتشكل صورا أولية عن" الآخر"، ونص التحفة بالضرورة يتضمن صورا عن "الآخر" في تجلياته الدينية واليومية باعتبار هذا الآخر أفكارا وقيما وثقافةً، ويحضر عند ابن بطوطة من خلال مروره من قناتي الصورة (القبلية) للآخر كما كانت في ذهن الرحالة قبل الرحلة، وهي صورة احتمالية تركز على اللامألوف، ثم الصورة المعدلة المتشكلة عن الآخر[54]، وصورة الآخر المثبتة في الرحلة البطوطية تعتني من خلال النظرة للأشياء والخلفيات والمرجعيات، لأن النص الرحلي يحكي اكتشاف الآخرين على حد تعبير تودروف.

وتتميز رؤية ابن بطوطة عن رؤى الرحالة الآخرين، وذلك لأن الوعي بالآخر عنده ينطلق من الديني والصوفي والاجتماعي وحضور القيم الإسلامية والنظرة المقارنة، مما يعطي لصورة الآخر ملامح متلونة في مدونته، فهو يكتفي بالعرض ثم الاندهاش والمفاجأة، وعملية العرض والتقديم، لهذا فإن الوعي بالآخر عنده هو تشكيل وتمثل يجعل من الغير شخصية تتحول من أثر واقعي إلى صورة فنية وثقافية ونظرة. بذلك فقد تفاعل الرحالة المغاربة مع عدد من الثقافات التي جاءت على خارطة وجهتهم التي يقصدونها، عايش بعضها، وعبر من خلال بعضها، وفي خضم ذلك مثَّل الآخر في خيالهم نقطة محورية تتكاثف حول نواتها آراؤهم وتصوراتهم المتعلقة به وبطريقة تكوينه البيئي والفكري.

. رابعا: أهمية كتاب رحلة ابن بطوطة كمصدر تاريخي

إن الرحلات تقدّم في مجال التاريخ بعض المعلومات التي لم يقدمها لنا العلم المختص في هذا المجال، فإذا كان التاريخ يعمل على وصف واستقصاء حياة البلدان وتاريخها بمختلف مجالاتها (السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية)، فإن الرحلات أعطت كل ذلك بعده المناسب وتطرقت إلى تحليل جوانب لم تتطرق إلى "تحليلها الوثائق التاريخية، فقامت الرحلات بوضع كل ذلك في دائرة الإشعاع التي توجه إليها لاستجلاء الواقع وإخراج التاريخ عن حدوده الضيقة"[55]، فلا يمكن للمؤرخ الاستغناء عن الرحلات التي كتبت في فترة بحيث توجد فيها بعض المعلومات والأحداث وأسماء الأماكن المختلفة والعلماء والسياسيين ورجال الدين التي لم نجدها في الكتب التاريخية.

ولولا الرحلات لم تكن تظهر هذه الأسماء والأحداث، فالرحلة تقدم صورة تاريخية لمدة نابضة بطبيعة العصر الذي عاش فيه الرحالة، نحن نجد فيها قصص تحكي أحداثا مستمدة من الواقع وبشخصيات حقيقية، فالراحل يعرّفنا على واقع البيئة التي شاهدها والمجتمع الذي اختلط فيه، والرحلة بذلك تجسد بعض الحقائق المعرفية عن المرحلة التاريخية التي عايشها الرحالة، فهي مصدر دونت بشهود عيان، فدراستها من الناحية التاريخية مفيدة في تعرف الجوانب العلمية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية بل حتى السياسية، وهذه

الجوانب كلها كتبت بحسب ما شاهده الرحالة ولمسه، ولا شك أن هذه الأمور لا توجد في كتب التاريخ العامة أو الخاصة التي انصب اهتمام مؤلفيها على الأحداث السياسية.

هذا ولم يترك ابن بطوطة إنتاجا أدبيا غير كتابه الوحيد المعروف برحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في عجائب الأمصار وغرائب الأسفار"، الذي أرخه ترحالا ليدون بعد أمر من السلطان كتابة، وهذا الأخير يشتمل على وصفه لرحلاته الثلاث، وهذه الرحلات تتضمن حكايات، كما نجدها تحمل قيما لما تشتمل عليه من معلومات عن العالم القديم ولما تتضمنه من أحكام كان يصدرها وآراء كان يبديها عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة في البلدان التي زارها، وكذا فهمه الخاص لأحوال الشعوب ومعاصرته لكثير من الأحداث التاريخية، كل ذلك شكل أهمية عظيمة لدارسي الجغرافيا التاريخية وعلماء الإناسة/الأنثروبولوجيا[56]، تكمن أهميتها في احتوائها على معلومات ثرية ومتنوعة: جغرافية سوسيولوجية، اقتصادية، تاريخية ودينية.

لم يغفل عن أي شيء يمس حياتهم العامة والخاصة، ولم يستثن في وصفه أحدا بدءا من السلاطين إلى الأمراء وحتى من رجال الشعب، فنظرته لتلك الأماكن التي زارها والشعوب الذين احتك بها، لم تكن نظرة سطحية كنظرة السائح الخاطفة والسريعة للمناظر المحيطة به، والباحث عن الأشياء النادرة والفريدة من نوعها، بل كانت رؤية مخالفة إذ غلبت عليه روح المتأمل والمحلل والمقارن والمتعقب لكل التفاصيل، أي أن ملاحظاته كانت تقوم على التقصي الموضوعي فغلبت عليه روح الإثنوغرافي والمحلل النفسي والمؤرخ والشاهد في آن واحد، وهذه الصفات هي التي ميزت رحلته، فجمع بذلك بين الجغرافية والدين والتاريخ والاجتماع، وما ساعده على ذلك سرعة تكيفه مع الوسط الغريب والتعايش مع أناس يحملون مرجعية تختلف عن مرجعيته، فذلك لم يؤثر عليه سلبا لأن عبر هذا التعايش استطاع أن يتعلم دروسا وأن يكون دائما مستعدا لتقبل المغاير والجديد.

إن رحلة ابن بطوطة تحمل في طياتها مجموعة من القيم: تاريخية، سياسية، علمية، أدبية، دينية واجتماعية، فهي تعد مصدرا من أهم المصادر التاريخية والجغرافية بالنسبة إلى حياة الأمم الشرقية في القرون الوسطى، يجد فيها الباحث معرضا كبيرا لأحوالها من الوجهتين السياسية والاجتماعية، ويقف على كثير من أسرارها كشف عنها رحالتنا لأول مرة في التاريخ. قال كارل بروكلمان في كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية": "والحق أن أحدا من الرحالين لا يداني ابن بطوطة في سعة استشراقه العالمي غير معاصره ماركو بولو البندقي الذي كان أسن منه بعض الشيء، والذي عهد إلى كاتب له في إخراج مذكراته إخراجا أدبيا"[57]. وقال أيضا عن ابن جبير وابن بطوطة: "وثمة كاتبان من المغاربة ترك لنا صورتين زاهيتين بالألوان عن الثقافة الشرقية في عصرهما، مما لا تستطيع أي حقبة سابقة أن تدل بمثله"[58].

لقد حفظت لنا كتب التراجم والتاريخ أسماء رحالة لم نعثر على رحلاتهم أو إنتاجهم أو لم يدونوا رحلاتهم، إضافة إلى إمدادنا بمعلومات قيمة خاصة وأنهم أودعوا فيها معظم مشاهداتهم والتي قد لا نجدها في كتب التاريخ من حيث الوصف الدقيق للمدن ونمط الحياة فيها، أما أهميتها العلمية فتكمن في إثراء المجال العلمي بفضل التبادل العلمي القائم على التقاء كبار العلماء للأخذ والرواية عنهم والحصول على إجازاتهم العلمية في المراكز التي وصلوا إليها، فهم رسل علم ومعرفة وحلقة اتصال.

ومن هنا نجد أن أدب الرحلة العلمية يشكل ثروة معرفية كبيرة ومخزنا للقصص والظواهر والأفكار، فضلا عن كونه مادة التقطتها عيون تتجول وأنفس تنفعل بما ترى، ووعي يلم بالأشياء ويحللها ويراقب الظواهر ويتفكر فيها، وكذا أوصاف البلدان والعمارة والحضارة وعجائب الطبيعة وكذا الأحوال الاجتماعية والروحية والسياسية والاقتصادية، كما لم تخل هذه الرحلات من إعطاء صورة واضحة عن المناهج التعليمية والتربوية، هذا مما أكسب الرحلة العلمية قيمتها العلمية في التراث الإسلامي.

لقد كان للرحلة العلمية أهمية كبرى بالنسبة للرحالة، فهي تعد أهم الوسائل في تحقيق أغراضهم، وتعتبر عونا للمؤرخ والجغرافي، لأن أغلب الرحالة سجلوا مشاهداتهم ومعايناتهم للأقاليم المختلفة التي زاروها، فقد كان للرحلة تأكيد للوقائع والأحداث عن طريق المشاهدة والملاحظة، حيث أدت هذه الأخيرة إلى اتساع أفق صاحبها لكثرة زيارته للبلدان والاختلاط بالعلماء وأصحاب المعرفة، كما تعد كتب

الرحلات من أهم مصادر التاريخ، وذلك لأنها تحتوي على معلومات قيمة، فهي تعد أوثق المصادر وأشملها وذلك من خلال مشاهداتهم في مسارهم ذهابا وإيابا، حيث وصفوا البلاد والعباد وعاداتهم، كما نوهوا إلى أسماء شيوخهم مسجلين إجازاتهم وأهم المصنفات التي اطلعوا عليها وأهم المشاهد المقدسة[59].

هذا وتعدّ الكتب الرحلية من المؤلفات التي تزخر بالتجارب الحية، وكذا بالتعبير عن التفرّد والتميّز من قبل مؤلفيها، لذا فإن كتب الرحلات تعد تصويرا للحضارة بما تحويه من أخبار الأمم ونادر الحكايات، وبما تضمّه من فوائد تاريخية ووصف للحوادث ومختلف صورِ المجتمع الذي يكون الرحال قد احتكّ به.

من هنا يمكن لنا القول أن كتب الرحلات تكتسي أهمية بالغة، ذلك أنها تتعرض "إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، إذ تتوفر فيه مادة وفيرة ممّا يهم المؤرخ الجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير، فالرحلات منابع ثرية لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجلّ حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مرّ العصور"[60].

. خاتمة:

مما يؤسف له أنه لم يكشف إلى الآن إلا عن القليل من هذه الرحلات، في حين حفظت لنا كتب التراجم والتاريخ بل والرحلات أسماء رحالة لا نعرف عن رحلاتهم شيئا، إما لفقدانها، أو لأنهم لم يقوموا بتدوينها. ومما لا ريب فيه أن أسلوب كتابة الرحلات في زمان ما إنما يعبر عن أدبيات ذلك الوقت، فدراسة رحلات معينة في فترة ما إنما تمد المعنيين بالأدب عن أسلوب وطريقة التأليف والكتابة والفكر الأدبي عموما لتلك الفترة بمعين طيب، لأن أغلب الرحالة الذين تصدروا لتدوين رحلاتهم كانوا على قدر لا بأس به من العلم والأدب يكفي للحكم على أهل تلك الفترة في إجادتهم أو قلتها، ومن لم يكن منهم أديبا حاكى غيره في صياغتها. كما تتجاوز الرحلة محتواها كمجرد مذكّرات إلى اعتبارها مصدرا مهما من مصادر التاريخ الدولي ليس للمغرب وحده، بل إنها مرجع أساس للتاريخ الدولي للعالم الإسلامي وعلاقات هذا العالم بعضه بعضا وعلاقاته مع العالم المسيحي، بحيث إن رحلة ابن بطوطة تعتبر من هذه الناحية تاريخا لما أهمله التاريخ.

عموما يمكن القول أن لابن بطوطة الفضل الأكبر في خروج هذا الزاد المعرفي الذي يحمل ثقافات الشعوب ومختلف نظمهم الاجتماعية، بل تعدى ذلك لأن بإنجازه ساهم في إثراء الكتب الجغرافية والتاريخية، فلولا خروجه وتجشمه تلك المتاعب والمشاق من مواجهة للأخطار والمصاعب والأهوال، لما تمكنا من معرفة أخبار السلف في مختلف الأمصار، كما كان لحافظته القوية ولذاكرته التي استطاعت أن تختزن كل تلك المعلومات الدور الكبير في جمع ما مر عليها خلال تسع وعشرين سنة، من تواريخ وقياسات وعملات ومزارات ومنشآت ونقود ومساجد ومدارس. فهذا الرحالة استطاع أن يثبت وجوده ليصبح في الطليعة شأنه شأن المسعودي وابن جبير، إذ يعتبر كتابه من أشهر كتب الرحلات في القديم، سجل فيه الخواطر والانطباعات والمغامرات بالتفصيل وبشكل مستفيض، فهو يعتبر من أمجاد المغرب، الرحالة الأسطوري، رحالة العرب والعجم، تعد رحلته اليوم هي الأولى في تاريخ البشرية جمعاء، وبذلك يكون الحج قد أتحف الجغرافية العربية بالعديد من الرحالة الذين أضافوا برحلاتهم ثروة نفيسة إلى جغرافية العصور الوسطى وعلى رأسهم ابن بطوطة.

وعلى الرغم من كل الانتقادات التي وجهت لمؤلف الرحلة خصوصا الذين ساورهم الشك بشأن مصداقية الرحلة من عدمها متهمين إياه بالكذب لما فيها من المبالغة على حد تعبيرهم، إلا أن كتابه كان ولا زال يمثل المصدر الأول لدراسي الأدب والتاريخ والجغرافيا، لما يحمله من معلومات عن مختلف الأمصار خلال القرن الرابع عشر الميلادي (الثامن الهجري)، إذ نجد شهرته بلغت الآفاق وأصبح يضرب به المثل عند التطرق لأدب الرحلات.

إن كتب الرحلات هي من أهم الكتب التي تشير بجلاء للجانب العلمي، فقد كشف الرحالة عن أهم المنابع التي استقوا منها علومهم، وسجلوا النشاط العلمي للعلماء الذين أخذوا عنهم والمراكز الثقافية والمدارس التي تلقوا فيها علمهم. وهكذا تأتي القيمة العلمية

التاريخية للرحلات، فهي مصادر دونت بواسطة شهود عيان، عاصروا الحدث وقاموا بتسجيله في حينه، فدراسة الناحية التاريخية للرحلات مفيدة في التعرف على الجوانب العلمية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية، بل وحتى السياسية، فهذه الجوانب كلها كتبت بحسب ما شاهده الرحالة ولمسه، ولا شك أن هكذا أمور لا توجد في كتب التاريخ العامة أو الخاصة، والتي انصب اهتمام مؤلفيها على الأحداث السياسية.

. الهوامش:

1 . أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، د. ت، مج 11، ص. 279.

2 . محمد الدين محمد الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1983، مج 3، ص. 383.

3 . صالح العلي الصالح، أمينة الشيخ سليمان الأحمد، المعجم الصافي في اللغة العربية، د. ط، الرياض، 1979، ص. 197.

4 . أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، د. ط، 2008، الطبعة الأولى، مج 1، ص. 871.

5 . القرآن الكريم، سورة طه، الآية 5.

6 . عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام: أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1996، الطبعة الأولى، ص. 15.

7 . القرآن الكريم، سورة سبأ، الآية 19.

8 . شوقي أبو خليل، أطلس القرآن: أماكن، أقوام، أعلام، دار الفكر، دمشق، 2000، الطبعة الأولى، ص. 12.

9 . أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الكتب العربي، د. ط، د. ت، ج 2، ص. 217.

10 . نادية محمد عبد الله، "الرحلة بين الواقع والخيال عند أندريه جيد"، مجلة عالم الفكر، العدد 4، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1983، ص. 97.

11 . عبد المنعم الفلاني، مآثر العرب والإسلام في القرون الوسطى، مطبعة أم الربيين، الموصل، د. ت، ص. 146.

12 . جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ج 1، ص. 32 - 37.

13 . سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، مكتبة غريب للطباعة، القاهرة، د. ط، د. ت، ص. 5.

14 . محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، الطبعة الثانية، ج 1، ص. 55.

15 . مجدي وهبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، الطبعة الثانية، ص. 17.

16 . إسماعيل زردومي، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الحاج الأخضر باتنة، الجزائر، 2005 - 2006، ص. 15.

17 . عبد الفتاح محمد وهيبه، جغرافية المسعودي بين النظرية والواقع، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1995، ص. 9.

18 . شاكر خصباك، الجغرافية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1986، الطبعة الأولى، ص. 6.

19 . صلاح الدين الشامي، "الرحلة العربية في المحيط الهندي ودورها في خدمة المعرفة"، مجلة عالم الفكر، العدد 4، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1983، ص. 13.

20 . صلاح الدين الشامي، المرجع السابق، ص. 14.

21 . الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، المغرب، 2002، الطبعة الثانية، ج 1، ص. 48.

22 . نواف عبد العزيز الجحمة، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2008، الطبعة الأولى، ص. 24.

23 . محمد سعيد الدغلي، "الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي والأدب الأندلسي، مجلة المناهل، العدد 95، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 2013، ص. 6.

24 . عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1988، الطبعة الثانية، ص. 39.

25 . صلاح الدين علي الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1989، الطبعة الثانية، ص. 112 - 114.

26 . نفسه، ص. 114.

27 . محمد بن عثمان المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، تحقيق محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، د. ت، ص. 5.

28 . الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص. 39.

29 . إسماعيل زردومي، المرجع السابق، ص. 19.

30 . محمد بن إدريس الشافعي، رحلة الشافي، نشر محي الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1929، ص. 18.

31 . الحسن الشاهدي، م. س، ص. 80.

32 . عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، 2005، الطبعة الأولى، ص. 226.

33 . حسين نصار، أدب الرحلة، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، 1991، الطبعة الأولى، ص. 5.

34 . سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري: دراسة في النشأة والتطور والبنية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر، 2006 - 2007، ص. 20.

35 . نوال الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2001، الطبعة الأولى، ص. 40.

36 . حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته: تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة، د. ط، د. ت، ص. 125.

37 . نفسه، ص. 63.

38 . عبد الودود شلبي، موسوعة أدب الرحلات: ما لا يعرفه المسلمون عن المسلمين في العالم، مركز الراية للنشر والإعلام، 2004، الطبعة الثانية، ج 1، ص. 4.

39 . ابن بطوطة: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي الطنجي الملقب بشمس الدين والمعروف بابن بطُّوطة بتشديد الطاء الأولى المضمومة، ولد بطنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب سنة 703هـ/1303م، استمرت رحلة ابن بطوطة في المشرق حوالي خمس وعشرين سنة منذ خروجه عام 725هـ/1324م، إلى حين عودته إلى فاس عام 750هـ/1349م، ولكنه ما لبث أن واصل رحلته إلى الأندلس وتنقل فيها وتركها في عام 753هـ/1352م، ثم عاود التجوال متجها صوب بلاد السودان وعاد سنة 754هـ/1353م، وهكذا استمرت رحلته ما يقرب من تسعة وعشرين عاما جاب فيها جميع الأقطار التي تسنى له الوصول إليها في ذلك الوقت كما نقل ذلك ابن جزي، ولقد كانت الرحلة حدثا مهما في حياة هذه الشخصية إذ هي سبب شهرته وخلوده.

40 . شاكر خصباك، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي، مطبعة دار السلام، بغداد، 1979، ص. 275.

41 . شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، مصر، 1979، الطبعة الثالثة، ص. 96.

42 . شاكر خصباك، المرجع السابق، ص. 275.

43 . شمس الدين ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، ج 1، ص. 153.

44 . شمس الدين ابن بطوطة، المصدر السابق، ص. 161.

45 . نفسه، ص. 184.

46 . شمس الدين ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج 4، ص. 104.

47 . شمس الدين ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج 3، ص. 52.

48 . شمس الدين ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج 2، ص. 18.

49 . شمس الدين ابن بطوطة، المصدر السابق، ج 2، ص. 39.

50 . شمس الدين ابن بطوطة، المصدر السابق، ج 3، ص. 117 - 149.

51 . نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب المصري، القاهرة، د. ت، ص. 182.

52 . رشيدي فكار، عن الحوار الحضاري، د. ط، بيروت، 1988، ص. 71.

53 . ابن جزي: هو أبو عبد الله بن أبي القاسم ابن جزي الكلبي (الشاعر الكاتب)، استكتبه الحجاج يوسف ابن الأحمر ثم تغير عليه ففارقه إلى المغرب آخر عام 753هـ، حظي بمكانة عند السلطان أبي عنان، وهو الذي أملى عليه ابن بطوطة رحلته بأمر السلطان أبي عنان، فكان الفراغ من كتابتها في صفر 757هـ.

54 . شعيب حليفي، "التذويت والوعي بالآخر"، مجلة المناهل، العدد 60، وزارة الثقافة، الرباط، د. ت، ج 2، ص. 196.

55 . نوال الشوابكة، المرجع السابق، ص. 52.

56 . شاكر خصباك، م. س، ص. 275.

57 . كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، الطبعة الخامسة، ص. 340.

58 . نفسه، ص. 338.

59 . عواطف محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين: دراسة تحليلية نقدية مقارنة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1999، ص. 56.

60 . حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، 1983، الطبعة الثانية، ص. 5.

. المصادر والمراجع:

. القرآن الكريم

. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، د. ت، مج 11.

. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الكتب العربي، د. ط، د. ت، ج 2.

. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، د. ط، 2008، الطبعة الأولى، مج 1.

. إسماعيل زردومي، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الحاج الأخضر باتنة، الجزائر، 2005 – 2006.

. الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، المغرب، 2002، الطبعة الثانية، ج 1.

. جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ج 1.

. حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، 1983، الطبعة الثانية.

. حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته: تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة، د. ط، د. ت.

. حسين نصار، أدب الرحلة، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، 1991، الطبعة الأولى.

. رشيدي فكار، عن الحوار الحضاري، د. ط، بيروت، 1988.

. سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري: دراسة في النشأة والتطور والبنية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر، 2006 - 2007.

. سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، مكتبة غريب للطباعة، القاهرة، د. ط، د. ت.

. شاكر خصباك، الجغرافية عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1986، الطبعة الأولى.

. شاكر خصباك، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي، مطبعة دار السلام، بغداد، 1979.

. شعيب حليفي، "التذويت والوعي بالآخر"، مجلة المناهل، العدد 60، وزارة الثقافة، الرباط، د. ت، ج 2.

. شمس الدين ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، 4 أجزاء.

. شوقي أبو خليل، أطلس القرآن: أماكن، أقوام، أعلام، دار الفكر، دمشق، 2000، الطبعة الأولى.

. شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، مصر، 1979، الطبعة الثالثة.

. صالح العلي الصالح، أمينة الشيخ سليمان الأحمد، المعجم الصافي في اللغة العربية، د. ط، الرياض، 1979.

. صلاح الدين الشامي، "الرحلة العربية في المحيط الهندي ودورها في خدمة المعرفة"، مجلة عالم الفكر، العدد 4، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1983.

. صلاح الدين علي الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1989، الطبعة الثانية.

. عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام: أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1996، الطبعة الأولى.

. عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1988، الطبعة الثانية.

. عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، 2005، الطبعة الأولى.

. عبد الفتاح محمد وهيبه، جغرافية المسعودي بين النظرية والواقع، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1995.

. عبد المنعم الفلاني، مآثر العرب والإسلام في القرون الوسطى، مطبعة أم الربيين، الموصل، د. ت.

. عبد الودود شلبي، موسوعة أدب الرحلات: ما لا يعرفه المسلمون عن المسلمين في العالم، مركز الراية للنشر والإعلام، 2004، الطبعة الثانية، ج 1.

. عواطف محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين: دراسة تحليلية نقدية مقارنة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1999.

. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، الطبعة الخامسة.

. مجدي وهبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، الطبعة الثانية.

. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، الطبعة الثانية، ج 1.

. محمد الدين محمد الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1983، مج 3.

. محمد بن إدريس الشافعي، رحلة الشافي، نشر محي الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1929.

. محمد بن عثمان المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، تحقيق محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، د. ت.

. محمد سعيد الدغلي، "الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي والأدب الأندلسي، مجلة المناهل، العدد 95، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 2013.

. نادية محمد عبد الله، "الرحلة بين الواقع والخيال عند أندريه جيد"، مجلة عالم الفكر، العدد 4، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1983.

. نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب المصري، القاهرة، د. ت.

. نواف عبد العزيز الجحمة، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2008، الطبعة الأولى.

. نوال الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، 2001، الطبعة الأولى

.